



عالم الجاسوسية.. عالم غامض عجيب.. تتكثفه الأسرار وتغلفه الألغاز.. يمتلئ بالحوادث التي يصعب تصديقها.. ويندر أن تجول بخاطر أي إنسان.. لا تنتهي عجائب هذا العالم.. ولا تنضب أسراره.. ولا تزال سجلات المخابرات المصرية حافلة بالعديد من الجولات الناجحة التي خدعت فيها الموساد الإسرائيلي وتفوتقت عليه وقضت على أسطور الجهاز العبقري.. وكذبت شائعات الذكاء اليهودي الذي لا يهزمه أحد أو يخدعه إنسان..

«النهار» تكشف خفايا هذه الملفات.. وعلى مدار« 26» حلقة نرفع الستار عن قصص جديدة وملفات مخفية شهدت صراعاً شرساً بين العقول.. ومواجهات حامية الوطيس بين المصريين والاستخبارات

الجاسوسية.. أسرار وألغاز

إسرائيلي الجنسية فلسطيني المولد.. لم تغير الدراسة قناعاته أو تبدل هويته

الجاسوس الطائر.. أسرار وخفايا قصة عابد كرمان

رغم كثرة قضايا وقصص التخابر بين مصر وإسرائيل التي امتدت لأكثر من خمسة عقود يبقى عابد كرمان أحد أخطر فصول المواجهة في حرب الظل، لأنه تمكن من خداع قيادات المؤسسة العسكرية الإسرائيلية، وكبار المسؤولين والقيادات السياسية، ولعب بهم لصالح مصر طوال ست سنوات، وحصل على وثائق وخرائط كان لها دور حاسم في نجاح عبور الجيش المصري الى سيناء 1973 ومن بينها خرائط بأماكن الألغام في خط بارليف.. وتمكن من اختراق المراكز السيادية، والمواقع الحساسة بسرية تامة، لينقل الى المخابرات المصرية الأسرار والمعلومات التي لعبت دورا مهما وخطيرا خلال حقبة مشتعلة بين حربي يونيو 1967 وأكتوبر 1973.

وتزداد أهمية قصة كرمان في توقيت تجنيده الذي جاء عقب نكسة يونيو فلم تهنا إسرائيل كثيراً بانتصارها في حرب 1967،وقبل أن تستريح ويلتقط شعبيها أنفاسه،تبددت نشوة الغرور فالعارك لم تهدأ، وتوالى بصورة أكثر ضراوة في حرب الاستنزاف التي كانت تدور مشاهدتها بشكل مباغت على الضفة الشرقية لقناة السويس، ولم يكن غريبا أن تصاحب هذه المعركة من القلق والإنزعاج لدى حكومة تل أبيب. وكان ذلك باعثا لبعثة الرعب في قلوب قاطني الدولة العبرية.

هو شاب فلسطيني من حيفا واسمه الحقيقي عبدالرحمن قرمان ولد عام 1938 وينتمي لأسرة فلسطينية تمتد جذورها الى قبيلة أبتين العربية.. وأسرته مسورة الحال لديها مزرعة للخضراوات والفاكهة،وأثناء دراسته فرضت عليه ظروف الاحتلال أن يكون زميلا لعدد من أبناء جيله من الإسرائيليين، ومن بينهم من تولى فيما بعد مناصب رفيعة في الجيش والمخابرات الإسرائيلية، وفي زهوة الشباب تعرف عبدالرحمن في مدينة تل أبيب على فتاة فرنسية جاكين مولييه كانت تعمل في مكتب للخطوط الجوية الفرنسية، وقع عابد كرمان في هواها، وهي التي أطلقت عليه اسم عابد،فهي كانت تنطق الجزء الأول من عبدالرحمن أبد وقرمان كانت تنطقها كرمان فصار الاسم محببا له!! ولم ينس عبدالرحمن ما حدث في قرينته إحدى قرى حيفا التي تعرضت للاعتداء الإسرائيلي الوحشي، ولم تنج السرى من هذه المذابح التي راح يشققة واحدا من ضحاياها.. فنتاه بداخله رغبة الانتقام، واتسع مساحة الكراهية لكل ما هو إسرائيلي.. وكانت المخابرات المصرية، تبحث عن رجل يتولى مهمة خطيرة داخل إسرائيل، وبدأت ترصد عبدالرحمن المعروف بوسامته وأناقته اللافتة لالناظر، وكان هناك من يرمص تحركاته تمهيدا لتجنيدوه،تم ذلك عن طريق أحد اصداق عابد كرمان أو عبدالرحمن، وراح يهيئ الظروف ويمهد الطريق لدخوله عالم الجاسوسية، فهو كان دائم التردد على مزرعة والحديث معه عن جاكين مولييه التي عادت الى باريس بعد انتهاء فترة عملها في تل أبيب، وكان ذلك محرضا له على عدم سنيانها، فقرر السفر الى فرنسا، وهناك توجه الى السفارة المصرية التي عادت مما يؤكد أن عملية التجنيد تمت في حيفا وتل أبيب.. فالفرقة هنا تبدو مدمشة، شاب فلسطيني يحمل جواز سفر إسرائيليا، يدخل السفارة المصرية.. ويجد من ينتظره!! ويتزوج عابد من جاكى، ويخضع لتدريب على أيدي ضابط المخابرات المصرية.. وتقل في العديد من العواصم الأوروبية.. وطلب منه أن يعود الى تل أبيب وسيدج في انتظاره شخصا يهوديا يطلب منه المشاركة في مصنع للحلوة الوطنية.. وعليه ما يوافق بعد تردد حتى تتم العملية باتقان شديد.. وبالفعل حدث هذا، والتقى اسحاق رينا، الذي طلب منه المشاركة، وبعد تردد وافق عابد.. وأعدت عليه المخابرات المصرية من خلال أحد ضباطها البارعين في المعارك الذهنية، الأموال لكي يتم انشاء هذا المصنع في باريس، الذي لا تعلم على إسرائيل أي تفاصيل وأسرار.. وكان ستارا لتشاط عابد في باريس، ودفعه هذا العمل لأن تتوسع دائرة علاقاته ويتم نشاطه من الجمارك الى الجيش الإسرائيلي، فالأموال الكثيرة تفتح أمامه الأبواب، وهو يقوم بتخفيها ما يوكل اليه من مهام ببراعة شديدة.

اختراق الألغام

وفي سنوات قليلة استطاع عميل المخابرات المصرية الأسطورة أن يخترق المناطق المغمومة، ويرتبط بعلاقات وطيدة مع أهم الشخصيات في المجتمع الإسرائيلي.. وجعلته هذه العلاقات بعيدا عن مواطن الشبهات، وسهلت له دخول الأماكن الاستراتيجية، والاطلاع على مخازن الأسرار والوثائق، وفي مقدمة الذين ارتبط معهم بعلاقات وطيدة، موشيه ديان وزير الدفاع الإسرائيلي وقتئذ، وثلاثة وزراء آخرين ارتبط معهم بصداقات متينة وهم :شلموهيل ونحاس سايبرو فيكتور شيمتوف، وصار واحدا من المقربين الى مدير مخابرات حيفا جيورا زايد الذي كان يحتفظ برقم تلفون عابد في جيبه ومكتبه، وشخصيات أخرى من الوزن الثقيل في دوائر صناعة القرار الإسرائيلي، وخدم ديان بطريقة متقنة، وأقام علاقات نسائية ففتح له الطريق لتقديم خدمات ومعلومات في غاية الأهمية للمخابرات المصرية.. التي طلبت منه التعرف على ديان والتقرب اليه وديرت خطة لذلك، نفذها عابد بدقة متناهية، حيث أخبره ضابط المخابرات المصرية بان ديان مولع بالأثاث واقتناها، وزوجته روث لديها محل لبيع وتجارة التحف والانتيكات، واستطاع ضابط المخابرات أن يقنع عابد بالخطة التي وضعها، فاحضر له جرة اثنية عمرها 3 آلاف سنة ليدينها أسفل مصنع عصر الزيتون المهجور القديم

على أطراف مزرعة، مع خلط التربة بكبريتات النحاس، التي أرسلوها في صندوق وساعد في تهريبها الى داخل إسرائيل توفيق فياض الذي تم تجنيده في جمارك مطار اللد بمعرفة عابد.. والخطة المرسومة له، هي هدم المبنى القديم الخاص بالمصنع وانشاء فعلا في المكان نفسه للاقامة على أطراف مزرعته.. والبناء يلزمه حفر للأساسات، وأثناء الحفر يعثر على الجرة التي وضعها قبل شهر.. ويعدها ذهب الى روث فأرشدته بالذهاب الى مكتبه ديان.. وبعد يوم عاد اليها ليخبرها أنه لن يستطيع الوصول اليه، فأجرت هي اتصالا بزوجها الذي ذهب الى محل الانتيكات.. وتعرف عليه عابد.. واصطحبه الى المزرعة للتأكد من عملية الحفر..وتوطدت العلاقة بينهما، والاتصالات تتم يوميا بين مكتب ديان، وعابد، لاطمئنان على عمليات الحفر فنه أن هناك المزيد من القطع الأثرية مدفونة تحت الأرض.. وكانت تلك العلاقة هي جواز المرور لدخول أي مكان في إسرائيل، وجعله بعيدا عن الشبهات، وساعده ذلك على بناء وتوطيد علاقاته بقيادات المجتمع الإسرائيلي، والنخبة المسيطرة فيه..

واتاحت له كل هذه الظروف الممكن من معرفة أن هناك وثائق مهمة تخص جيش الدفاع الإسرائيلي، وعملياته الانشائية على الجبهة الجنوبية في سيناء، وهذه الوثائق في حوزة شخص هو ليفي شموأيل وهو من الأفراد القلائل الذين يستطيعون الاطلاع على مثل هذه الوثائق، وكان ليفي حسب المعلومات التي حصلت عليها المخابرات المصرية، لديه علاقة شادة مع شاب صغير يدعى اريك يقيم في ناتانيا وكان يتردد على شقته كل يوم جمعة بعد غروب الشمس، وعلى خلفية هذه المعلومات تم استدعاء عابد الي باريس، وطلب منه ضابط المخابرات المصري شراء هذه الوثائق، من خلال خطة تبدأ بفتح قنوات اتصال مع ليفي باعتبار أن عابد الشخصية المعروفة سوف يحصل على أعمال انشاءات من الباطن لتفتيد المشروع، ويغري ليفي بمقابل مادي مجز، وتبحث الخطة مع ليفي تم تصوير ما لديه من وثائق، لخدمة عابد الذي سيحصل على أعمال المقاوله من الباطن، ويبريد معرفة تفاصيل العملية بهذا القبيل، وكانت هذه الوثائق عبارة عن رسوم لتحصينات الجبهة على خط قناة السويس، وبالوصول على هذه الوثائق أصبح عابد يتربع على قمة العاملين في الحقل السري، وجعله ذلك مزموا ومنتشبا بما حققه.. وعمل عابد في العديد من الأعمال التي كلف بها، ومنها ادارة مصنع بلجلومي في باريس ومصدر للمبالغ، ومقاول بغرض الدخول الى إحدى أهم الشركات التي كانت تعمل في مجال انشاء التحصينات العسكرية أسويل يونيه، وارتبط بصداقة قوية مع مديرها بنيامين كافينياكي وأحد مؤسسيها دافيد هاكوجين صاحب النفوذ الواسع في إسرائيل.وبعد أن تامت علاقات عابد كرمان في المجتمع الإسرائيلي، وأصبح في وضع يسمح له بالتجول في سيناء ذلك المكان الذي أرقق تفكيره من أجل التسلل اليه،وكانت صلته القوية بديان، هي جواز المرور الذي يدخل به كل المناطق المحظورة، وتفتح له ابواب الخرائن الموصدة.. واصبحت حياته تنساب بنعومة جراء الثقة والزهو.. فيعد حصوله على أخطر الأسرار العسكرية في الاستراتيجية الدفاعية للدولة العبريةو لم ترذ مطالب المخابرات المصرية عن حثه على توطيد صلاته بالشخصيات المهمة، وتسجيل الأقوال التي يرمي بها موشى ديان في أي لقاء يجمعهما سويا، ولم يتم تكليفه بأي تعليمات اضافية، وجعله هذا يعتقد أن القاهرة قررت تجنيد نشاطه، وكان ذلك بالنسبة لتفكيره مجرد اعتقاد.. فهو لم يكن يعلم أن قرار تجنيد نشاطه قد اتخذ بالفعل، بعد أن أدى المهام المكلف بها ببراعة. فكانت المخابرات المصرية قد رأت ضرورة سحب من الميدان، لكي يقيم مع زوجته «مونيك» بعيدا عن إسرائيل، على أن ابلاغه بذلك اثر استدعائه الى باريس، فقد كانت هناك خشية اكتشاف أمره في تل أبيب بعد اتساع دائرة الشبهة التي قام بتجنيدها، وفي تلك الأثناء، كان عابد يتحرك بلا هدف محدد، مدفوعا بشهوة البحث عن مزيد من النجاحات يضيئها الي رصيده في لعبة الخطر، ملقيا

خلف ظهره كل حسابات الدقة المسبقة، فقرر زيارة صديقه القديمة «ديانا مطر» في مقر عملها وما أن نظرت اليه يارتباك، فاصيها برؤس العبارات وكلمات الحزن، فاستغرب أن يعطف عليها في مقر عملها، وسرعا، وكان كتيبة من الكلاب البوليسية تطارده، وهو يحاول الهرب منها.. وبالصدفة تقابل في طريقه وهو يهرول أحد معارفه «خالد الزهر» تبادلأ سويا حديثا قصيرا، وانصرف كلا منهما الى حال سبيله، «خالد الزهر» هذا كان مدرسا فلسطينيا، يعمل في مدرسة ابتدائية، قريبة من مزرعة «عابد» في حيفا، وهجر المهنة التدريس، وافتتح مطعما صغيرا في منطقة وادي النسناس. وبعد فترة قصيرة أغلق المطعم وأعلن افلاسه، وبعدها التحق بالعمل في وكالة «دوف جريفر» للفرقيات، صاحبها يهودي إسرائيلي.. كان من الممكن أن يمر اللقاء العابر مع «الزهر» بدون أي أثر.. لكن الجشع دائما هو الجشع يقود الى التهلكة دون أن يمتح صاحبه فرصة للتبصر.

تداعي الأفكار

على الفور تداعت الأفكار الى ذهن «عابد كرمان» وادعت طموحاته التي أطلق لها العنان بدون روية، فقد ذهبت تلك الأفكار الى أن «ديانا مطر» لن تستطع الاستمرار في سرقة جوازات السفر من الشركة التي تعمل بها، لكن «الزهر» يمكنه القيام بهذه المهمة، لأن الرغبة في الثراء للخروج من أزماته المالية، وحالة الفقر بينهم الجريمة دون أن يتمكن أحد من تحديد شخصية السارق.. خاصة أن «الزهر» يملك قدرأ عالياً من الطموح والريغبة في الثراء للخروج من أزماته المالية، وحالة الفقر التي يعيشها، إضافة الى أنه فلسطيني وليس لديه مصالح تغري بالانحياز لسلطات الحكم في إسرائيل،

سافر إلى فرنسا بحثاً

عن حبه القديم وتم تجنيده في السفارة المصرية بباريس

ولع موشى ديان بالآثار

كان طريق كرمان لصداقة

وزير الدفاع الإسرائيلي..

صداقة ديان فتحت الأبواب

المغلقة وسهلت تصوير

تحصينات خط بارليف

أول جاسوس يعيد المعدات

إلى رؤسائه.. وصلت كاملة

دون علم الـ«موساد»

زهو النجاحات غير المسبوقة

أوقع كرمان في خطأ لا

يرتكبه الهواة



الإسرائيلية.. كانت أسلحتها الخطأ المحكمة.. ومكائد مدبرة بعناية فائقة.. وسطر أبناء النيل بحروف من نور نجاحات مبهرة لعمالء أحسنت المخابرات المصرية تدريبهم.. ليتسللوا داخل المجتمع الإسرائيلي.. واستطاعوا بمهارة فائقة خنأق أرقى المناصب.. وأعلى الرتب في المجتمع الصهيوني ليحصلوا على أدق الأسرار.. وليكشفوا المستور.. وأماطوا اللثام عما يملكه الكيان المحتل من أسلحة وذخائر.. ونقلوا للقاهرة خرائط تفصيلية لمواقع وتحصينات جيش الاحتلال قبل معركة العبور الجيدة.

ولم يتوقف نجاح المخابرت المصرية على زرع عملاء داخل المجتمع الإسرائيلي وفي بيوت جنرالات جيش الصهيونة.. بل تمكن المصريون ببراعة فائقة من اصطياد جواسيس الأعداء ومنعومهم من نقل الأسرار إلى تل أبيب.. وحجبوا عن الموساد المعلومات وقعت جواسيسه تباعاً.. بل وتنجحت المخابرات المصرية في تجنيد بعض جواسيس الموساد وجعلتهم عملاء للقاهرة وأرسلت من خلالها رسائل خادعة إلى إسرائيل كان لها فضل كبير في خطط الخداع والتمويه التي مهدت لنصر أكتوبر العظيم.

القاهرة – مصطفى إبراهيم

طريقة من منزله بصحبة زوجته.. أدرك أن سيارات مجهولة تطارده، وعند وصوله للمطار حاول الظاهر بالتماسك وعدم القلق، فلم يكن أمامه مهرب، لكن في تلك اللحظات التي تمر سريعا، أدرك أن الخطأ القاتل الذي ارتكبه، ويفوق كل الأخطاء دفعة واحدة.. فكانت تردق الى جوار قدميه حقيبة يد في قاعها جواز سفر باسم «تسفي هيرتزوج» من عميك بيت شبن تم التفتيش والقي القبض على عابد كرمان وذهبوا به الى حجرات التحقيق في مكاتب المخابرات، وروى «كرمان» تفاصيل التحقيق معه قائلأ: زارني رجل من طراز جديد، رجل يرتدي جاكيت اسبور ويتميز بحول في عينه اليمني ويتحدث العربية بطلاقة وقد قدم نفسه لي باسم سامي وكان واضحا أنه من يهود العراق، ويتخذ هيئة صديق هبط على من السماء، وقال انه ينصحنى بالاعتراف لأنهم يعرفون أنني على صلة بالمصريين ولكن أهم ما أفصح عنه صديقي سامي كان على الجرة، الجرة الملعونة التي أهديتها لديان، فقد فحصوا الجرة واتضح أنها مزيفة.

وقد اعترف بان الرجل الذي طلب الجواز ويدعي محمد قد عرفني على شخص آخر وهو الذي اعطاني الجرة لتسليمها لديان، وأننى كلتف بعد ذلك بجمع أي معلومات وارسالها الي لندن ولما سلئت عن وسيلة التراسل أجبت باننى كنت ابعت بخطابات مكتوبة على عنوان مس سوزان أجنيدو 100هل جيت لندن، ويبدو أن المخابرات الاسرائلمبة بحثت هذه النقطة بعناية لأنهم ابلفوني بعد ثلاثة أيام أن مس سوزان غادرت هذا العنوان يوم 4يناير قبل الظهور، وفي مرحلة لاحقة واجهني دافيد باعتراف منسوب الي توفيق فياض، فايدت كل اقواله التي تنحصر في أنني دفعت له رشوة في مقابل أن يعاونني لتعمير الجرة في الجماركواوضح لي أثناء الاستجواب أنهم لا يكتبون اسم ديان، ويبدو أن ذلك هو السبب في أنهم انهبوا استجوابي بسرعة، فقد نقلت الى مركز الشرطة بعد أن وقعت على اعترافاتي، وهناك قضيت ليلة نقلت بعدها الى مركز رئاسة الشرطة في حيفا، وكان يدي مفيدتين بقبضو فرسنية، أسوأ أنواع القيود هي هذه الفرنسية، بضماء صغيرة ولكنها غير قابلة للكسر، وبعد ذلك عرضت على حاكم الصلح، حاكم الصلح في حيفا امرأة غريبة عمرها ستين سنين تدعي شاركامان، كانت تدخن سجاثر رخيصة وتعالب النوم وفي النهاية أمرت بتوقيفي خمسة عشر يوما ثم نقلت الى مبني المخابرات في لוחاصي ماجيتوتوت.

استقبال مختلف

وفي هذه الزيارة استقبلت مختلفا أخلاقا بينا عن الزيارة السابقة، فقد أخذت الى مكتب في الطابق الأول وسجح لي بالجلوس على مقعد وبعد دقائق جاء لمقابلتي ذلك العراقي الواسع الذم سامي، ولدهشتني الشديدة سألني عما إذا كنت أرغب في احتساء شيء من القهوة، واحد وعشرون يوما لم أذق فيها طعم القهوة ولكني رفضت فقدم لي سيجارة ثم بدا حديثه، وعرفت أنني سأقدم للمحاكمة وأن من السهل الإيعاز للمحكمة بتخفيف الحكم بشرط أن اعترف بكل ما في جعبتي، ولما نقت بشدة أنني احتفظ باي شذرة من المعلومات غير ما أدليت به عاود المحاوله بأسلوب أكثر نعومة، ولكني أقسمت أنني لا أخفي شيئا، وفي النهاية طلب مطالبا بدأ لي غريبا، أن اعترف أمام المحكمة بصلتي بالمصريين وأن أخفي صلتي بديان عندئذ سألته: والمدير؟ أي المدير؟ هكذا سألني هو الآخر وقد قطب جبينه - جيورا زايد، صديقي الذي لم يحاول أن يلقي علي نظرة يجب أن تخفي اسمه هو الآخر.

- كانت المحكمة مشكلة من ثلاثة قضاة، وفي أول جلسة سألني الرئيس السؤال التقليدي الذي يبدو بلا معنى ما أدليت به عاود المحاوله بأسلوب أكثر نعومة، عندئذ رفعت رأسي الى الجلسة وامرني بان أوكل أحد المحامين فاستمعت، وفي الجلسة الثانية فوجئت بحضور صاحب دعوى (يعقوب دافيد) وهو رجل تشيكي على دراية بالقانون ومكتبه في حارة الكلك داود رقم 12ابتل أبيب، وعندما اقترب مني سألته عنم وكله بالدفاع عنى فأخبرني أن رجلا فرنسيا زاره في مكتبه وزعم أنه صهري ودفع له تعابيه مقدماون هذا المحامي عرفت أنهم وضعوا زوجتي على ظهر باخرة يونانية طردها من البلاد، وفي هذه الجلسة استمعت المحكمة لمرافعة النيابة والدفاع، وصرر الحكم في ثالث جلسة بسجنني اثنتي عشرة سنة ولكن النيابة استأنفت الحكم وقضت محكمة الاستئناف بزيادة العقوبة الي ستة عشر سنة وهكذا نقلت الى سجن الرملة.

مرت الشهور في سجن الرملة.. واندلعت حرب أكتوبر 1973 بالعبور الى الضفة الشرقية، وتحطيم خط بارليف بعد اكتشاف جميع الثغرات من خلال الوثائق، التي لم يتحدث عنها عابد في التحقيقات التي جرت معه، وانتهت بسجنه، لكنه لم يكن بعيدا عن متابعة جهاز المخابرات العامة المصرية، حتى وهو داخل السجن، وما أن انتهت جولة المعركة الطاحنة، وخلت مرحلة المفاوضات.. وكان عابد كرمان.. على أجدنتها في المناقشات المغلقة.. وانصرف ليشتعل النار في الايصال الذي تسلمه من موظفي البريد.

أغرب النوادر

ولعلها من أغرب قصص عالم الجاسوسية بل لعلها من النوادر أن يعيد الجاسوس أو العميل المعدات الي رؤسائه معدات التجسس عن طريق البريد، بمجرد افترصاح أمره.. ومن الأشياء المثيرة للدهشة، أن الطرد وصل بكامل محتوياته الي أيدي المخابرات المصرية بعد ذلك بفترة، حسب تصوره.. أنه في ما من من أي خطر، استعد للذهاب الى مطار «اللد» ومئة الي باريس، وفي